***Journal of Religion & Society* (JR&S)**
*Available Online:*
*https://islamicreligious.com/index.php/Journal/index*
*Print ISSN: 3006-1296Online ISSN: 3006-130X*
*Platform & Workflow by: Open Journal Systems*

# THE CIVILIZATIONAL ASPECTS OF INTERACTING WITH CHRISTIANS IN THE PROPHETIC ERA: AN ANALYTICAL STUDY BASED ON THE BOOK 'ZAD AL-MA'AD FI HADI KHAYR AL-'IBAD' BY IBN AL-QAYYIM AL-JAWZIYYA

# الجوانب الحضارية في التعامل مع النصارى في العهد النبوي
# دراسة تحليلية من خلال كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية

**Ubaid Ullah Sindhi**
PhD Scholar, IIUI.
ubaidusm@gmail.com
**Dr. Abdul Qadir Abdul Kareem Gondal**
Assistant Professor, Faculty of Usuluddin, IIUI
abdul-qadir@iiu.edu.pk

**ABSTRACT**
*This study explores how Prophet Muhammad ﷺ treated Christians during his time, based on the book Zad al-Ma'ad by Ibn al-Qayyim. It highlights the principles of inviting Christians to Islam, such as his letter to the Roman Emperor and his discussions with the Najran delegation. The study also examines rules followed during battles, like respecting messengers, making peace agreements, and managing taxes. Additionally, it looks at the moral and legal principles in the Prophet's dealings with the Christians of Abyssinia and Najran, including religious freedom, protection of wealth, fairness, and keeping promises.*
***Keywords:*** *Interfaith Dialogue, Diplomacy, Religious Freedom, Moral and Legal Principles.*

**الملخص**

*تناولت هذه الدراسة الجوانب الحضارية في تعامل النبي ﷺ مع النصارى في العهد النبوي، من خلال تحليل ما ورد في كتاب* ***"زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية"*** *. وقد سلط البحث الضوء على منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة النصارى، مثل الرسالة الموجهة إلى قيصر ملك الروم، والتعامل مع وفد نجران، وأصول الحوار والمناظرة معهم. كما تطرقت الدراسة إلى المبادئ الحضارية والإنسانية في التعامل مع النصارى من خلال الغزوات والسرايا، مثل حرمة الرسل، وعقد الصلح، وتنظيم الجزية. كذلك، استعرض البحث المعايير الأخلاقية والقانونية في معاملة النبي ﷺ لنصارى الحبشة ونجران، والتي تضمنت ضمان حرية الاعتقاد، وصيانة الأموال، وتحريم الظلم، والتأكيد على الأمانة والعهد.*

## المقدمة:

إن الإسلام دين جاء لكافة الناس وقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وجعله خاتم النبيين؛ فاهتم النبي صلى الله عليه وسلم اهتماما بالغا لنشر رسالة الإسلام إلى أمم أخرى حتى يصل إليهم رسالة الإسلام ولكي لا يبقى لديهم أي حجة. فالحوار والتواصل

مع الحضارات الأخرى بطرق سلمية وسيلة فعالة للتواصل بين الشعوب والدول وحل النزاعات وبناء الثقة بين الأقوام المختلفة. فالنبي صلى الله عليه وسلم مارس طرقا شتى في هذا المجال؛ كما بعث الرسائل والسفراء والوفود إلى الدول المجاورة ودعاهم إلى الإسلام. ففي صحيح مسلم: "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى. وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

وإن الإمام ابن القيم الجوزية تناول الجوانب الاجتماعية والحضارية في السيرة النبوية في كتابه الشهير "زاد المعاد في هدي خير العباد"؛ فذكر تفاصيل تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأمم الأخرى. وقد ذكر المؤلف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى، يظهر فيه العدل والرحمة والتسامح وأنه أسس قواعد الاحترام المتبادل والتعايش السلمي. وحينما جاء إليه وفد نجران استقبلهم برحابة صدره وأتاح لهم أداء الصلاة في مسجده. كذلك أكّد على أهمية الوفاء بالعهود والمعاهدات معهم. فتعامله صلى الله عليه وسلم كان مبنيا على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الحفاظ على القيم الإسلامية التي تدعو إلى العدل والإنصاف مع جميع الناس.

**أهمية الموضوع:**

لإبراز أهمية هذا الموضوع في العصر الحديث، يمكن التركيز على النقاط التالية:

1- قيم التعايش السلمي والاحترام المتبادل مع أتباع الديانات الأخرى.
2- تعزيز مبدأ الحوار والمجادلة على أساس الأدلة العقلية والنقلية والتفاهم بين الفرق المختلفة.
3- معالجة النزاعات الدينية وتقديم حلول عملية بين أفراد الملل المختلفة.

لقد قسمت هذا البحث إلى أربعة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: الجوانب الحضارية في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك النصارى

المبحث الثاني: الجوانب الحضارية في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران

المبحث الثالث: الجوانب الحضارية في التعامل مع النصارى من خلال الغزوات والسرايا

المبحث الرابع: الجوانب الحضارية في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى

**المبحث الأول: الجوانب الحضارية في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك النصارى**

لقد أوكل الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسؤولية تبليغ الإسلام إلى كافة الناس. وبعد صلح الحديبية، حيث اطمأن النبي ﷺ إلى حد كبير من الاضطرابات الداخلية في

[1] أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، 1397/3، رقم الحديث: (1774).

جزيرة العرب، انتهز أول فرصة لإرسال رسائل دعوية إلى الملوك والحكام خارج الجزيرة. وفي السطور التالية، سيتم تلخيص هذه الرسائل بشكل مختصر.

**أولاً: رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة**

**قال ابن القيم:** "لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رسله، فكتب إلى ملك الروم، فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا إذا كان مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع"[2].

**قال ابن القيم:** "وكتب إلى النجاشي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى"[(3)].

"فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري، فلما قرئ عليه الكتاب أسلم، وقال لئن قدرت أن آتيه لآتينه"[(4)].

**قال ابن القيم:** "قلت: وهذا وهم - والله أعلم - وقد خلط راويه ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه، فهما اثنان وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي وليس بالذي صلى عليه"[(5)].

**ثانياً: رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم**

قال ابن القيم: "وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل وهم بالإسلام وكاد، ولم يفعل، وقيل: بل أسلم، وليس بشيء.

"وقد روى أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة؟ فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: "وإن لم يقبل"؛ فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس قد جعل عليه بساط لا يمشي عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى، فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه، فنادى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن. فجاء الرجل؛ فقال أنا. قال فإذا قدمت فأتني، فلما قدم أتاه، فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت، ثم أمر مناديا ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمدا وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله

---

[2] زاد المعاد، 116/1.
[(3)] زاد المعاد، 602/3.
[(4)] زاد المعاد، 24/3.
[(5)] زاد المعاد، 603/3.

صلى الله عليه وسلم: قد ترى أني خائف على مملكتي، ثم أمر مناديه فنادى: ألا إن قيصر قد رضي عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم، فارجعوا فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إني مسلم وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية"، وقسم الدنانير"[6].

**قال ابن القيم:** "ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى هرقل: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]"[7].

يتجلى في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل مجموعة من القيم الحضارية البارزة، منها الدعوة إلى التواصل الحضاري من خلال مخاطبة القادة والشعوب بأسلوب راقٍ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة كما يظهر في عبارات "سلام على من اتبع الهدى" و"أسلم تسلم". بالإضافة إلى ذلك، يؤكد الخطاب أهمية الحوار بين الأديان، والإخلاص في نشر الرسالة دون تمييز بين أفراد المجتمع. ويظهر أيضا احترام النبي صلى الله عليه وسلم للمخاطب بتقدير مكانته بوصفه "عظيم الروم"، مما يعكس قيم الاحترام المتبادل.

**ثالثاً: رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية عظيم القبط**

**قال ابن القيم:** "وكتب إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 64]"[8].

**قال ابن القيم:** "وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، واسمه جريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط، فقال خيرا وقارب الأمر ولم يسلم، وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مارية وأختيها سيرين وقيسرى، فتسرى مارية، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وأهدى له جارية أخرى، وألف مثقال ذهبا، وعشرين ثوبا من قباطي مصر، وبغلة شهباء وهي دلدل، وحمارا أشهب، وهو عفير، وغلاما خصيا يقال له مابور. وقيل: هو ابن عم مارية، وفرسا وهو اللزاز، وقدحا من زجاج وعسلا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه"[9].

---

[6] زاد المعاد، 117/1.
[7] زاد المعاد، 601/3.
[8] زاد المعاد، 603/3.
[9] زاد المعاد، 118/1.

قد اكتفى المؤلف رحمه الله في زاد المعاد بذكر مضامين هذه الرسائل دون أن يستنبط منها أو يبيّن مسائل دعوية متعلقة بها. ومع ذلك، في موضع آخر، يتحدث عن موقف بعض هذه الحكام والملوك، حيث يقول:

"فهذا ملك الروم - وكان من علمائهم أيضا - عرف وأقر أنه نبي، وأنه سيملك ما تحت قدميه، وأحب الدخول في الإسلام فدعا قومه إليه فولوا عنه معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فمنعه من الإسلام الخوف على ملكه ورئاسته، ومنعه أشباه الحمير مما منع الأمم قبلهم"[10]. كذلك قال عن النجاشي الذي آمن وصلى عليه وهو بالمدينة؛ قال: "ولما عرف النجاشي ملك الحبشة أن عباد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده، أسلم وحده سرا، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم"[11]. وقال: و"كذلك ملك دين النصرانية بمصر عرف أنه نبي صادق، ولكن منعه من اتباعه ملكه، وأن عباد الصليب لا يتركون عبادة الصليب"[12].

**الجوانب الحضارية المستفادة من هذه الرسائل:**

إذا تأملنا مضامين هذه الرسائل ولغتها وأسلوبها، سنرى جوانب عديدة من أسلوب دعوة النبوي ﷺ. على سبيل المثال، نجد أن لهجة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مهينة بل كانت مليئة بالرحمة والمحبة. كان يمنح الطرف الآخر الاحترام وينياديه بألقابه الحقيقية. ولم يكن يستخدم لنفسه أي لقب سوى "رسول" و"عبد". كان أسلوبه خالياً من التعالي ومليئاً بالتواضع، ويركز على التوحيد الخالص والتأكيد على الأمور المشتركة.

ولم يكن هناك أي إغراء دنيوي، ولا طمع في السلطة أو غزو عسكري. بل كان النبي ﷺ يضمن لهم أن عهدهم وملكهم لن يُنتزع منهم إذا أسلموا، لأن الدنيا أمر زائل، وسيأتي وقت قريب ينتهي فيه كل شيء. ولهذا السبب قال في بعض المناسبات: "ولا بقاء لملكه". لهذا السبب، قبل العديد من الحكام دعوته وأسلموا، وحتى من لم يقبلوا، كان رد فعلهم إيجابياً.

هذه القيم الحضارية تبرز كيف أن الإسلام لم يكن مجرد دعوة دينية، بل كان يحمل رسالة عالمية تدعو إلى العدل والسلام والحوار بين الشعوب.

**المبحث الثاني: الجوانب الحضارية في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران**

الإسلام دين العدل والرحمة وقد حث الشرع أن تكون علاقاتنا مع الكفار مبنية على العدل والرحمة وحسن التعامل؛ فلا ينبغي أن يكون الاختلاف في العقيدة سببًا لأي نوع من الظلم أو الجور. وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائما يحرص على دعوتهم إلى الإسلام. وقد ظهر تعامله صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران وكانوا على ديانة النصرانية، وأقاموا في المدينة لعدة أيام وكان غالب سلوكهم هو إظهار الفخر والتعاظم؛ ولكن مع ذلك سمح لهم

---

[10] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط1، 1996م، ص 278.

[11] المرجع السابق.

[12] نفس المصدر، ص 280.

التمكين والصلاة في المسجد ودعاهم إلى الإسلام وحاول إقناعهم بأحقيته بطرق متعددة، وجرت بينهم مناقشات وحوارات بأسلوب حسن وتبادل للأدلة. وفي النهاية، عقد النبي ﷺ معهم اتفاقًا، وافقوا بموجبه على دفع الجزية للدولة الإسلامية. وقد ذكر ابن القيم مباحث وفد نجران بتفصيل كبير، فقام بتحليل روايات السيرة واستنبط العديد من المسائل العقائدية والدعوية. ففي السطور التالية، سنعرض باختصار تعامل النبي ﷺ مع وفد نجران. إضافة إلى ذلك، سنلقي الضوء على الجوانب الثقافية والحضارية التي حاول ابن القيم إبرازها.

**قال ابن القيم:** "قال ابن إسحاق: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوهم"؛ فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم"[13].

**أوجه الاستنباط عند ابن القيم**

لقد فصل ابن القيم كلامه على وفد نصارى نجران واستنبط الأحكام المختلفة من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم، فنذكر فيما يلي بعض استنباطاته مع التحليل لكلامه.

**1- حرية الاعتقاد والعبادة**

إن وفد نجران وكانوا نصارى لما دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم حان وقت صلاتهم فدخلوا المسجد وبدؤوا يصلون صلاتهم نحو المشرق، فنهرهم الصحابة ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعوهم، فصلوا في المسجد. لقد استنبط ابن القيم من هذه الحادثة جواز دخول الكفار في مساجد المسلمين وعبادتهم فيها على طريقتهم. فقال:

"ففيها: جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين. وفيها: تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضا إذا كان ذلك عارضا، ولا يمكنون من اعتياد ذلك"[(14)].

ذكر هذه الرواية ابن إسحاق في سيرته وقد صحح المؤلف هذه الرواية في كتابه أحكام أهل الذمة[(15)]؛ ولكن محقق زاد المعاد قد ضعف هذه الرواية فقال: "رجاله ثقات لكنه منقطع"[(16)].

وقد جوز دخولهم المساجد وصلاتهم فيها بعض العلماء ومنع بعضهم، والذين يرون جوازه يقولون إذا كان هناك مصلحة راجحة كمثل رجاء دخولهم في دين الله أو تأليف قلوبهم لكي يقتربوا من المسلمين ويعرفوا عن الدين والقرآن وأحكامه فيمكنوا من الدخول. كذلك قاله ابن القيم بأنه يكون عارضا ولا يكون معتادا.

**والراجح:** أنه يجوز دخول الكفار المساجد إذا كان هناك مصلحة متحققة راجحة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ربط ثمامة بن أثال في المسجد ولم يسلم في ذلك الحين ولكنه

---

[13] زاد المعاد، 550/3.

[(14)] زاد المعاد، 558/3.

[(15)] ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 262/1.

[(16)] انظر حاشية زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط، 550/3.

صلى الله عليه وسلم كان يرجو إسلامه[17]. وقال الخطيب الشربيني: "وثبت أنه صلى الله عليه وسلم أدخل الكفار مسجده، وكان ذلك بعد نزول " براءة "، فإنها نزلت سنة تسع، وقدم الوفد عليه سنة عشر وفيهم وفد نصارى نجران، وهم أول من ضرب عليهم الجزية فأنزلهم مسجده وناظرهم في أمر المسيح وغيره"[18].

قال سعيد رمضان البوطي: "جواز إنزال المشرك في المسجد إذا كان يرجى إسلامه وهدايته: فقد رأيت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقبل وفد ثقيف في مسجده لمحادثتهم وتعليمهم، وإذا كان هذا جائزا للمشرك، فجوازه للكتابيّ أولى. وقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران، حينما جاؤوه لسماع الحق ومعرفة الإسلام"[19].

مع هذا كله لا بد أن يكون مصاحبا بضوابط شرعية كمثل ستر العورة وعدم الاختلاط وأن يكون لمصلحة راجحة كسماع القرآن والدعوة لهم وأن لا يكون هناك قذر أو وسخ. تنبيها على ذلك أنهم لا يمكنون على إظهار شعائرهم الكفرية كمثل عبادة الصليب وغيرها من العبادات المصاحبة بالشرك والكفر لأن فيها إهانة للمساجد؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[20]. قال ابن رجب الحنبلي: فكما أنهم لا يمكنون من فعل عباداتهم في المساجد، فكذا لا ينبغي للمسلمين أن يصلوا صلواتهم في معابد الكفار التي هي موضع كفرهم. فإن قيل: فقد روي ما يدل على جواز إقرارهم على أن يصلوا صلواتهم في مساجد المسلمين، وإذا جاز الإقرار على ذلك جاز للمسلمين أن يصلوا في بيعهم وكنائسهم بطريق الأولى. -ثم ذكر قصة وفد نجران وقال- قيل: هذا منقطع ضعيف، لا يحتاج بمثله، ولو صح فإنه يحمل على أن النبي صلى الله عليه وسلم تألفهم بذلك في ذلك الوقت استجلابا لقلوبهم، وخشية لنفورهم عن الإسلام، ولما زالت الحاجة إلى مثل ذلك لم يجز الإقرار على مثله.

ولهذا شرط عليهم عمر رضي الله عنه عند عقد الذمة إخفاء دينهم، ومن جملة إلا يرفعوا أصواتهم في الصلاة، ولا القراءة في صلاتهم فيما يحضره المسلمون"[21]. انتهى.

**2- مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بالحكمة والموعظة الحسنة**

لقد دار الحوار بين النبي صلى الله عليه وسل وبين نصارى نجران في عدة مواقع ومع كونهم مختلفين في العقيدة لقد راع النبي صلى الله عله وسلم أحسن الأسلوب في التعامل معهم. فقد أرشد الله سبحانه وتعالى إلى الدعوة بالرفق واللين والمجادلة الحسنة مع الكفار جميعا وأهل الكتاب خصوصا؛ فقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[22]. ولكن لابد أن يلتزم الداعي بأدواة العلم والرسوخ في عملية الدعوة

---

[17] انظر: صحيح البخاري، 176/1، رقم الحديث: (450).

[18] شمس الدين، محمد بن محمد، الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، 68/6.

[19] انظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ص٣١٦.

[20] سورة الجن، الآية 18.

[21] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط1، 1996م، 244/3.

[22] سورة العنكبوت، الآية 46.

حين يخاطب أهل الكتاب. **قال ابن القيم:** "جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها"[23].

بما أن السبب الرئيسي لضلالة النصارى هو أنهم يعتقدون المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه ابن الله أرسله لفداء بني آدم. وقد مثل الله في القرآن أن مثال عيسى عليه السلام عنده كمثل آدم، فكما أن الله قادر على أن يخلق آدم من غير أب وأم فهو كذلك قادر على خلق عيسى بدون أب، وكما أن آدم من كونه خلق من غير وسلطة لم يجعله إلها فكذلك لا يكون المسيح إلها بمجرد خلقه من غير أب. ولهذا دعاهم الله تعالى إلى التوحيد وعدم الإشراك بالله وأن نتفق على الأمور المشتركة؛ فقال: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[24]، فناظرهم النبي صلى الله عليه وسلم واختار لإقناعهم طرق شتى وأساليب مختلفة، ولكن لم يقدر الله لهم الهداية، لأنهم رفضوا الحق بعد المعرفة التامة.

**3- مباهلة أهل الكتاب**

**قال ابن القيم:** "ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله"[25].

ومن الحوارات التي دارت مع نصارى نجران لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر عيسى عليه وسلم وألحوا في المسألة وقالوا كيف يمكن أن يكون الولد من غير أب؟! فأنزل الله تعالى جوابا شافيا لا مفر لهم بعده؛ فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[26]. فلما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة وجعل اللعنة على الكاذبين فروا منه ولم يثبتوا على موقفهم. وقد كانوا عرفوا بيقين أنه هو النبي العربي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم ولكن منعهم اتباعه حب الجاه والرئاسة. وإذا أقر الكتابي بلسانه برسالة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يكفي إقراره باللسان في تصديق إيمانه حتى يثبت إيمانه بالعمل الصادق وباتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا.

وفي الأخير لما لم يجدوا أي سبيل للفرار أقروا بأداء الجزية وصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم. وبهذا تبينت العرب أن النصارى الذين لهم معرفة تامة عن الدين وأمور الغيب

---

[23] زاد المعاد، 3/558-559.
[24] سورة آل عمران، الآية 64.
[25] زاد المعاد، 3/561.
[26] سورة آل عمران، الآية 59-61.

لم يواجهوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستجيبوا لدعوته للمباهلة، عرفت العرب أنهم أنفسهم في شك وتردد في عقائدهم، وأن الإسلام هو الدين الحق.

**المبحث الثالث: الجوانب الحضارية في التعامل مع النصارى من خلال الغزوات والسرايا**

عندما أُقيم سيطرة الإسلام الكاملة على جزيرة العرب، بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بإرسال الوفود لدعوة الناس إلى الإسلام خارج الجزيرة. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر نفرا إلى ناحية الشام لدعوة القبائل وكانوا على دين النصرانية، فقتلوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعا وإلا كعبا. وفي نفس الأيام قتل رسول النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير، على يد الحاكم المسيحي شُرَحبيل بن عمرو، رغم أن قتل السفراء لم يكن جائزاً بأي حال. ومن هنا بدأت المواجهة بين المؤمنين ونصارى الروم. وكانت أول معركة في هذه المواجهة هي غزوة مؤتة.

عندما علم النبي صلى الله عله وسلم أن قيصر الروم يجمع جيشه الكبير على حدود الشام ويستعد لمهاجمة المدينة، اتخذ قراراً شجاعاً؛ فلم ينتظر في المدينة قدوم العدو، بل قرر التحرك للأمام واتخاذ موقف هجومي. هذا القرار أثار دهشة العرب بأكملهم، وكان بمثابة اختبار عظيم للصحابة. تجدر الإشارة إلى أن العدو في هذه المرة لم يكن قبيلة صغيرة، بل كانت القوة العظمى الثانية في العالم في ذاك الوقت، التي تمتلك جيشًا متمرسًا وموارد مادية هائلة. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم توكل على الله واستعان به وعبر مسافة شهر ووصل التبوك. ولكن قدر الله ما شاء فعل، لم يجترئْ قيصر أن يواجه المسلمين لأنه كان قد رأى من قبل في غزوة مؤتة كيف أن جيشه الذي بلغ عدده مائة ألف لم يستطع هزيمة ثلاثة آلاف من المجاهدين المسلمين، والآن ها هم ثلاثون ألف مجاهد تحت قيادة النبي ﷺ نفسه، فلم يكن لديه الجرأة لمواجهة المسلمين. بقي النبي صلى الله عليه وسلم هناك عشرين يوما ولكن لم تقع المعركة. وأبرم معاهدات صلح مع القبائل والدول المجاورة لضمان أن تبقى حدود الدولة الإسلامية آمنة من أي تعدٍ. وكانت هذه نصراً أخلاقياً عظيماً وشجاعةً منَّ الله بها على المؤمنين.

**المطلب الأول: حرمة المستأمنين ومن في حكمهم على أرض الإسلام**

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب في أن لا يتعرض أحد بالاعتداء على الوفود الدعوية التي أرسلها، بل أن يتمكنوا من إيصال رسالة الله إلى عباده بسلام وأمان. ومن أسباب فرض الجهاد كان تطهير طريق الدعوة من كل المخاطر والعوائق. ولكن عندما قام الروم بظلم واعتداء على سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، كان ذلك بمثابة إعلان للحرب بشكل غير مباشر. لأن الكنيسة المسيحية لم تكن ترغب أبدًا في مجيء دين يدعو الناس إلى الاتصال المباشر بربهم دون وجود شرك أو تثليث. لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نجران حين كتابة شروط الصلح: "على نجران مثواة رسلي، ومتعتهم بها عشرين فدونه، ولا يحبس رسول فوق شهر"[27].

[27] زاد المعاد، 554/3.

ولقد استنبط الإمام ابن القيم من هذه قائلا: "ومنها: اشتراط الإمام على الكفار أن يؤووا رسله ويكرموهم، ويضيفوهم أياما معدودة"[28].

بما أن الإسلام دين العدل والرحمة وكما أن النبي صلى الله عليه وسلم يكرم السفراء والرسل بنفسه، فإننا نتوقع من عدونا ألا يتعرض لسفرائنا؛ فإن جميع قوانين العالم تعتبر الاعتداء على السفراء إعلانًا صريحًا للحرب. ولهذا السبب، عندما انتشرت شائعة مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أرسله النبي ﷺ سفيرًا إلى قريش في صلح الحديبية، بايع النبي ﷺ جميع الصحابة على الانتقام لمقتله. وبالمثل، عندما قتل الروم رسول النبي ﷺ، أرسل ﷺ جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لمعاقبة العدو، مظهرًا الشجاعة والبسالة. وقد اتخذت هذه الإجراءات لضمان ألا يتعرض أحد لظلم على سفراء الإسلام ودعاته في المستقبل.

وقد أوضحه الإمام ابن القيم مزيدا؛ فقال: "وأمَّا المستأمَن فهو الذي يَقْدَم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رسلٌ، وتجارٌ، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن ــ فإن شاؤوا دخلوا فيه وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم ــ، وطالبُ حاجةٍ مِن زيارةٍ أو غيرها.

وحكم هؤلاء: أن لا يُهاجوا، ولا يُقتَلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرَض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه أُلحِق به، ولم يُعرَّض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيًّا كما كان"[29]. انتهى كلام ابن القيم.

فنفس التعامل نريد نحن من الأعداء لسفراءنا ورسلنا إذا سافروا في بلاد العدو، فيكونون مأمونين أينما كانوا وعلى حكام تلك الدولة حفاظهم وصونهم كل من أشرار.

**المطلب الثاني: عقد الصلح وشروطه**

قال ابن القيم: "ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه صاحب أيلة، فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جربا وأذرح فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فهو عندهم، وكتب لصاحب أيلة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يردونه من بحر أو بر"[30].

قال السيد قطب: "وكان لغزوة تبوك أثر معنوي ضخم صحيح أنه لم يجر فيها قتال ولا طعان. ولكن هذه القوة التي وصفها الله تعالى ﴿... تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾، قد أدت مفعولها. فإذا ركائز النصرانية في أرض العرب تأتي لتسالم النبي صلى الله عليه وسلم. ويأتي وفد إيلية ممثلا للنصارى في جزيرة العرب يعلن مهادنته لدولة الإسلام. وكما ورد في المصالحة أنه يشمل من كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر".

---

[28] زاد المعاد، 562/3.

[29] ابن القيم، أحكام أهل الذمة، 45/2.

[30] زاد المعاد، 470/3.

ينبغي أن يُحفظ أن العدو لا يرضى بالصلح إلا عندما يدرك قوة الطرف الآخر بشكل صحيح. وإلا فإن التاريخ شاهد على أن أعداء الله، عندما يحصلون على السلطة في الأرض، يقطعون الأيدي الممدودة للصلح بنصال السيوف وحدِّ الخناجر. كانت شجاعة النبي ﷺ وتوكله على الله سبباً في أنه كلما طلب العدو الصلح، لم يرفض ﷺ قط.

وبناءً على هذا، فإن قاعدة الفقهاء في الإسلام تنص على أنه إذا لم يلتزم أهل الصلح بشروطهم، وتآمروا في الخفاء مع العدو لإلحاق الضرر بالمسلمين تحت غطاء الصلح، فإن دماءهم وأموالهم تحلُّ للمسلمين، ويُعاملون معاملة الأعداء.

**قال ابن القيم:** "ومنها: أن أهل العهد والذمة إذا أحدث أحد منهم حدثا فيه ضرر على الإسلام انتقض عهده في ماله ونفسه، وأنه إذا لم يقدر عليه الإمام فدمه وماله هدر، وهو لمن أخذه، كما قال في صلح أهل أيلة: فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وهو لمن أخذه من الناس، وهذا لأنه بالأحداث صار محاربا حكمه حكم أهل الحرب"[31].

**قال ابن القيم:** "ولما كان في مرجعه من تبوك، أخذت خيله أكيدر وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة، وكان نصرانيا، وكان ملكا عليها، فصالحه على الجزية وحقن له دمه"[32].

غزوة تبوك هي أفضل مثال على الحكمة السياسة والبصيرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أنه خلال مقامه في تبوك، أخضع ﷺ تلك الدول الصغيرة الواقعة بين العرب والإمبراطورية الرومانية والتي كانت تحت نفوذ قيصر الروم، وذلك من خلال الضغط العسكري، وأبرم معها صلحاً مقابل الجزية.

**المطلب الثالث: وضع الجزية**

في المصطلح الإسلامي، الجِزية تشير إلى مقدار قليل من الضرائب المالية التي تحصل عليها الحكومة الإسلامية من رعاياها غير المسلمين. وفي مقابل ذلك، يحصلون على الحرية الدينية الكاملة، وتصبح حماية أرواحهم وأموالهم مسؤولية الدولة الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، تعد الجِزية رمزاً على ولائهم للدولة الإسلامية والتزامهم بتطبيق قوانينها.

الجزية هي الثمن الذي يدفعه غير المسلمين مقابل حريتهم في البقاء على ضلالتهم تحت حكم الدولة الإسلامية. وتُصرف هذه الأموال على إدارة النظام الصالح الذي يحمي حقوقهم. كما تُذكِّرهم الجزية سنويًا بحرمانهم من شرف دفع الزكاة واستمرارهم في ضلالهم، مما يُعدُّ شقاءً لهم.

قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[33]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال). فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى

---

[31] زاد المعاد، 498/3.
[32] زاد المعاد، 140/3.
[33] سورة التوبة، الآية 29.

الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"[34].

دين الإسلام لا يريد من الناس أن يعتنقوا ديانته جبرا وإكراها، بل هو الإذعان بالقلب والروح ثم الاتباع بالجوارع بالخضوع التام، فالذين لا يريدون أن يعتنقوا عقيدة الإسلام فهم أحرار في اختيار دينهم ولكن يريد منهم الإسلام أن يدفعوا مقابل هذه الحرية ضريبة محددة تسمى الجزية.

يقول محمد أبو زهرة: "والجزية ليست للإذلال، كما أخذ بعض الناس من ظاهر لفظ وهم صاغرون، إنما هى لأمرين:

أولهما: إظهار الطاعة للحاكم المسلم، وإمام المسلمين غير مضارين في دينهم، ولا مغيرين لعقائدهم ومبادئهم الدينية، ولا مرهقين فى أمرها.

ثانيهما: أنها تكون في مقابل ما يفرض على المسلمين من فرائض مالية ليسهموا بها فى بناء المجتمع الإسلامي، فالمسلم يفرض عليه بحكم الإسلام أداء الزكاة، والدولة هي التي تجمعها، وتفرقها علي الفقراء والمساكين والعالمين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، وفي سبيل الله تعالي يشمل الجهاد، وكل المصالح والمرافق العامة للدولة.

وعلى المسلم كذلك زكاة الفطر وكفارات النذور والأيمان والقتل الخطأ، والظهار، وفدية الصيام وكفارته، وكل هذه مغارم تصرف لعلاج آفات الفقر فى المجتمع.

فكان العدل يوجب أن يفرض على غير المسلم الذى يعيش فى ظل الإسلام فرائض تقابل ذلك، فكانت الجزية، وكان الخراج، يصرف منها على المصارف العامة للدولة الإسلامية التى تظل المسلم والكتابى على سواء، ولذلك كانت حاجات أهل الذمة تسد من بيت مال الجزية والخراج، من أجل هذين الأمرين فرضت الجزية، وإنها أمر عادل لا إذلال فيه، ولا شبه إذلال. ولكن طاعة وتسليم وخضوع للدولة ونظامها مع حرية التدين[35]. انتهى.

**قال ابن القيم:** "ولما كان في مرجعه من تبوك، أخذت خيله أكيدر وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة، وكان نصرانيا، وكان ملكا عليها، فصالحه على الجزية وحقن له دمه"[36]. "قال موسى بن عقبة: واجتمع أكيدر ويحنة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما إلى الإسلام فأبيا وأقرا بالجزية، فقاضاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية دومة، وعلى تبوك، وعلى أيلة، وعلى تيماء، وكتب لهما كتابا"[37].

"في هذه الغزوة دليل على مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب، وأنهم يحرزون بذلك دماءهم وأموالهم، فقد رأيت أن الروم اختفوا وتفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[34] أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، 1357/3، رقم الحديث: (1731).

[35] انظر: خاتم النبيين، 822/3. بتصرف يسير.

[36] زاد المعاد، 140/3.

[37] زاد المعاد، 472/3.

حينما وصل إلى تبوك، وجاءه متنصرة العرب فصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية، وكتب لهم عليه الصلاة والسلام بذلك كتابا"[38].

**المبحث الرابع: الجوانب الحضارية في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى**

منذ بداية الإسلام، كانت العلاقات بين المسلمين والنصارى عموماً سلمية. عندما تلقى النبي ﷺ أول وحي في مكة، أخذته زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل، الذي كان على الديانة المسيحية ويكتب الإنجيل. وكذلك، بسبب الهجرة إلى الحبشة، تواصل المسلمون مع المسيحيين لعدة سنوات دون أن يرد في أي رواية ذكر لنزاع أو شجار بينهم. ويعد إقامة المسلمين في الحبشة مثالاً رائعاً للتعايش السلمي مع أتباع الأديان الأخرى. وبالمثل، عندما أرسل النبي ﷺ رسائل دعوية إلى ملوك النصارى، كان ردهم إيجابياً في الغالب. وقد وصف الله تعالى في القرآن الكريم النصارى بأنهم الأقرب مودة إلى أهل الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[39].

قال ابن القيم: "وكان له من البغال دلدل، وكانت شهباء أهداها له المقوقس. وبغلة أخرى. يقال لها: "فضة". أهداها له فروة الجذامي، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة، وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل، وقد قيل: إن النجاشي أهدى له بغلة فكان يركبها. ومن الحمير عفير وكان أشهب، أهداه له المقوقس ملك القبط، وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي. وذكر أن سعد بن عبادة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه"[40]. في هذا المبحث، سنتناول كيفية تعامل النبي ﷺ مع النصارى، وما هي الجوانب الحضارية والثقافية التي نراها في هذا التعامل. بالإضافة إلى ذلك، سنناقش كيف أبرز ابن القيم هذه الجوانب.

**المطلب الأول: تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى الحبشة**

كان أول اتصال النبي صلى الله عليه وسلم وقع مع النصارى في الفترة المكية، عندما اشتد ظلم قريش إلى حد كبير، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه". فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمِنّا على ديننا، ولم نخش منه ظلما"[41]. كذلك تذكر الرويات أنه صلى الله عليه وسلم كتب كتابا إلى النجاشي أوصاه فيه بالعناية الخاصة بأصحابه رضي الله عنهم ويكرمهم.

---

[38] محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص 305.

[39] سورة المائدة، الآية 82.

[40] زاد المعاد، 129/1.

[41] أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (384 - 458 هـ)، السنن الكبرى، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة، ط1، 2011م، 29/18، رقم الحديث: (17793).

**قال ابن القيم:** "لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم له صلى الله عليه وسلم وفتنتهم إياهم فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى الحبشة وقال: إن بها ملكا لا يظلم الناس عنده؛ فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار"[42].

**وقال:** "فصل: محاولة المشركين رد النجاشي المهاجرين: فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم إلى النجاشي ليردهم عليهم، فأبى ذلك عليهم، وشفعوا إليه بعظماء بطارقته فلم يجبهم إلى ما طلبوا، فوشوا إليه: إن هؤلاء يقولون في عيسى قولا عظيما، يقولون: إنه عبد الله، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه، ومقدمهم جعفر بن أبي طالب، فلما أرادوا الدخول عليه قال جعفر: يستأذن عليك حزب الله، فقال للآذن: قل له يعيد استئذانه، فأعاده عليه، فلما دخلوا عليه قال: ما تقولون في عيسى؟ فتلا عليه جعفر صدرا من سورة "كهيعص" فأخذ النجاشي عودا من الأرض، فقال: ما زاد عيسى على هذا ولا هذا العود، فتناخرت بطارقته عنده، فقال: وإن نخرتم، قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، من سبكم غرم. والسيوم: الآمنون في لسانهم، ثم قال للرسولين: لو أعطيتموني دبرا من ذهب، يقول: جبلا من ذهب، ما أسلمتهم إليكما، ثم أمر فردت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين"[43]. "وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم، ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فوجدوه قد فتحها"[44]. انتهى من زاد المعاد.

"وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وهي بأرض الحبشة وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار".[45] قال النووي: "فإن قيل فصداق أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان أربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار! فالجواب أن هذا القدر تبرع به النجاشي من ماله إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي صلى الله عليه وسلم أداه أو عقد به والله أعلم[46].

**المطلب الثاني: التعامل الحضاري مع نصارى نجران**

في علاقات النبي ﷺ مع الأمم الأخرى، الأمر الأهم الذي نراه في سنته ﷺ هو دعوة التوحيد. كانت لديه ﷺ رغبة شديدة في ألا يُحرم أي إنسان من هذه النعمة. وقد دعا النبي ﷺ نصارى نجران إلى الإيمان بهذا المبدأ الأساسي أيضًا.

---

[42] زاد المعاد، 95/1.

[43] زاد المعاد، 26/3.

[44] زاد المعاد، 24/3.

[45] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، دار العروبة – الكويت، ط2، 1987م، ص 242. انظر: زاد المعاد، 107/1.

[46] النووي، المنهاج، 216/9.

**المحور الأول: الدعوة إلى التوحيد**

وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة إلى نصارى نجران ودعاهم فيها إلى قبول الإسلام وعبادة الله الواحد القهار، وكلما دعا قوما بدأ بدعوة التوحيد لأنه هو أساس الإسلام.

**قال ابن القيم:** "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران: باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام"[47].

قد أمرنا الإسلام بأن نحسن معاملة غير المسلمين ونقيم العدل بينهم، ومن واجب المسلمين أن يبلغوا دعوة الإسلام إليهم بشكل صحيح وكامل دون تحريف أو تقصير. وخلال لقاءاته مع وفد نجران، دعاهم النبي ﷺ في عدة مناسبات إلى التوحيد. وعندما اجتمع يهود المدينة ونصارى نجران لدى النبي ﷺ وبدأوا يتجادلون ويتناقشون حول سيدنا إبراهيم عليه السلام، أنزل الله تعالى وحيًا يوضح أنه في الأصل كان من أهل التوحيد ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا. وإذا كان هناك أحد له حق القربى به فهو هذا النبي العربي ﷺ. وقد أنزل الله برائة النبي صلى الله عليه وسلم عندما اتهموه وقالوا أنه يريد أن يدعو الناس لعبادته.

**ذكر ابن القيم:** "فقال رجل من الأحبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من نصارى نجران: أوذلك تريد يا محمد وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 79 - 80][48].

وحينما سأله الوفد عن عيسى عليه الصلاة والسلام فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[49].

وقد ذكر الواحدي سبب نزول هذه الآيات بأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا وفد نجران إلى التوحيد فأبوا؛ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحاورهم ويجادلهم وذكرلهم أدلة التوحيد. قال: "فكلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم "أسلما"، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: "كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير"، قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعا في عيسى، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم "ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ " قالوا: بلى، قال: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى أتى عليه الفناء؟ " قالوا: بلى، قال: "ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ " قالوا: بلى، قال: "فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ " قالوا: لا، قال: "فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث" قالوا: بلى،

---

[47] زاد المعاد، 552/3.

[48] زاد المعاد، 551/3.

[49] سورة آل عمران، الآية 59.

قال: "ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ " قالوا: بلى، قال: "فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ " فسكتوا، فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانية آية منها"[50]. انتهى كلام الواحدي.

**المحور الثاني: القيم الحضارية في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران**

لقد تميز تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع النصارى بالقيم الحضارية التي تعكس العدل والرحمة. فقد كان ﷺ يحرص على احترام حقوقهم ويضمن لهم حرية العبادة، كما فعل مع نصارى نجران حين منحهم الأمان وكتب لهم عهدًا يحميهم. ودعاهم إلى التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة دون إكراه، وحرص على الحوار معهم بطريقة تفتح باب التفاهم والتعايش السلمي. كما كان وفيًا بالعهود والمواثيق التي أبرمها معهم، مؤكدًا على أهمية العدل والإنصاف في التعامل مع جميع الناس بغض النظر عن دياناتهم. ومعاهدة النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران تعتبر من الوثائق المهمة التي تعكس القيم الحضارية في الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع غير المسلمين. وفيما يلي نذكر بعض القيم الحضارية المستفادة من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران، وإضافة إلى ذلك موقف ابن القيم واستنباطاته.

**1- ضمان الأمن الاجتماعي:**

"ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وتبعهم".

**2- ضمان حرية التدين:**

"وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا وافه عن وفهيته".

**3- ضمان صيانة الأموال:**

"وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم ريبة ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين".

**4- تحريم أكل الربو لأهل الكتاب:**

"ومن أكل ربا من ذي قبل، فذمتي منه بريئة".

وقد استدل ابن القيم من هذا تحريم المعاملات الربوية لأهل الكتاب؛ فقال: "أن الإمام لا يقر أهل الكتاب على المعاملات الربوية؛ لأنها حرام في دينهم، وهذا كما لا يقرهم على السكر، ولا على اللواط والزنى، بل يحدهم على ذلك"[51].

**5- حرمة الظلم:**

---

[50] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، أسباب نزول القرآن، دار الإصلاح – الدمام، ط2، 1992م، ص 98.

[51] زاد المعاد، 562/3.

"ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر".
قال ابن القيم: "أنه لا يجوز أن يؤخذ رجل من الكفار بظلم آخر، كما لا يجوز ذلك في حق المسلمين، وكلاهما ظلم"[52].

**6- نقض العهد والذمة**

وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم"[53].
قال ابن القيم: "أن عقد العهد والذمة مشروط بنصح أهل العهد والذمة وإصلاحهم، فإذا غشوا المسلمين وأفسدوا في دينهم فلا عهد لهم ولا ذمة. وبهذا أفتينا نحن وغيرنا في انتقاض عهدهم لما حرقوا الحريق العظيم في دمشق حتى سرى إلى الجامع، وبانتقاض عهد من واطأهم وأعانهم بوجه ما، بل ومن علم ذلك ولم يرفعوا إلى ولي الأمر، فإن هذا من أعظم الغش والضرر بالإسلام والمسلمين"[54].

**7- رعاية الأمانة في تعامل أهل الكتاب**

قال ابن القيم: "ومنها: بعث الإمام الرجل إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام، وأنه ينبغي أن يكون أمينا، وهو الذي لا غرض له ولا هوى، وإنما مراده مجرد مرضاة الله ورسوله، لا يشوبها بغيرها، فهذا هو الأمين حق الأمين، كحال أبي عبيدة بن الجراح"[55].

**8- مبدأ الحوار**

قال ابن القيم: "والمقصود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السورة المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيف ناصرا للحجة، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبيناته، وهو سيف رسوله وأمته"[56].
ويظهر هذا المبدأ من حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع عدي بن حاتم؛ فحواره يُعد من الأمثلة البارزة على القيم الحضارية في الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالتسامح، والعدل، والحوار مع الآخر. وكان زعيماً لقبيلة طيء وكان نصرانياً قبل أن يدخل الإسلام، وقد فر إلى الشام في أول الأمر ولحق هناك بالنصارى ولكن سرعان قرر أن يرجع إلى المدينة ويفتش عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
وقد روى ابن حبان قصة إسلامه في صحيحه. يقول عدي رضي الله عنه: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بعث، فكرهته أشد ما كرهت شيئا قط، فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم، فقلت: لو أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذبا لم يخف علي، وإن كان صادقا اتبعته، فأقبلت، فلما قدمت المدينة استشرف لي الناس، وقالوا: جاء عدي

---

[52] زاد المعاد، 563/3.
[53] زاد المعاد، 554/3.
[54] زاد المعاد، 563/3.
[55] زاد المعاد، 563/3.
[56] زاد المعاد، 561/3.

بن حاتم، جاء عدي بن حاتم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي: "يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم"، قال: قلت: إن لي دينا، قال: "أنا أعلم بدينك منك"، مرتين أو ثلاثا، "ألست ترأس قومك؟ " قال: قلت: بلى، قال: "ألست تأكل المرباع؟ " قال: قلت: بلى، قال: "فإن ذلك لا يحل لك في دينك"، قال: فتضعضعت لذلك، ثم قال: "يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم، فإني قد أظن، أو قد أرى"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن مما يمنعك أن تسلم خصاصة تراها بمن حولي، وتوشك الظعينة أن ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز، وليفيضن المال أو ليفيض، حتى يهم الرجل من يقبل منه ماله صدقة"، قال عدي بن حاتم: فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالبيت، وكنت في أول خيل أغارت على المدائن على كنوز كسرى بن هرمز، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة، إنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي"[57]. انتهى.

يظهر التواضع والخلق العظيم من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع عدي بن حاتم حيث أخذ يده في يده وقد قال قبل ذلك: "إني أرجو أن يجعل الله يده في يدي"[58].

تتجلى القيم الحضارية في هذا الحوار في احترام الآخر، والتواضع، والعدل، والحوار القائم على الحكمة والإقناع، والتسامح، وهي قيم أساسية في التعامل مع الآخر في إطار رسالة الإسلام.

وأخيرا نذكر الشهادة لأحد باحث مسيحي عن عدل الإسلام مع النصارى.

**وذكر مارسيل بوازار:** "لقد عقد النبي محمد عليه السلام اتفاقًا مع مسيحيي نجران، اعتبره فقهاء المسلمين نموذجًا للتنظيمات الصالحة للتطبيق على الأقوام الخاضعة للإسلام. وقد تَعهَّدَ الرسول صلى الله عليه وسلم بحماية سكان مدينتهم وجوارها، وتأمينِهم على نفوسهم وممتلكاتهم، وضمان حريتهم في التمسُّك بعقيدتهم وعبادتهم، ولقد شملت الحماية الضمانَ لجميع السكان، في حين ظلت مسؤولية الانتهاكات مسؤولية فردية؛ فلا يؤخذ أيُّ معاهَدٍ بجَريرةِ آخَر.

ولم يفقد أهالي نجران من الوجهة القانونية الصِّرفِ أيَّ حقٍّ من حقوقهم، باستثناء ما كان من أمر تحريم الربا. وكانتْ هناك أحكام خاصة تمنع تدخُّلَ النفوذ الإسلامي في الجهاز الحكومي الكهنوتي المسيحي، وتحظر الإساءة إلى أهل الذِّمَّة، وكلَّ شكل من أشكال الاضطهاد"[59]. انتهى.

**نتائج البحث:**

تؤكد هذه الدراسة أن التعامل النبوي مع النصارى كان نموذجًا حضاريًا راقيًا، يجمع بين الدعوة، العدل، والتسامح، مما يعكس مبادئ الإسلام في التعايش السلمي واحترام حقوق الآخرين. وقد توصلت الدراسة إلى استخراج النتائج وهي كما يلي:

---

[57] أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 2012م، 24/6، رقم الحديث: (4814).

[58] زاد المعاد، 453/3.

[59] مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ص 192.

1- **ترسيخ مبدأ الحوار والدعوة بالحكمة** :حرص النبي ﷺ على دعوة النصارى بالحكمة والموعظة الحسنة، كما يتجلى في رسالته إلى قيصر ملك الروم وفي محاوراته مع وفد نجران.

2- **حرية الاعتقاد والعبادة:** أقر النبي ﷺ حرية النصارى في ممارسة شعائرهم، وهو ما انعكس في الوثائق والمعاهدات التي أبرمها معهم، خاصة مع نصارى نجران.

3- **ضمان الحقوق المالية والاجتماعية**: أكدت المعاهدات النبوية على صيانة أموال النصارى، وتحريم الربا عليهم، ومنع الظلم في التعاملات المالية.

4- **أخلاقيات الحرب والسلم**: تجلى البعد الحضاري في المعاملات العسكرية من خلال تحريم الاعتداء على الرسل، وعقد الصلح وفق شروط عادلة، ووضع نظام الجزية كبديل عن التجنيد الإجباري.

5- **التسامح والتعامل بالحسنى**: تميز تعامل النبي ﷺ مع نصارى الحبشة ونجران بالرحمة والعدل، مما يعكس البعد الأخلاقي في بناء العلاقات مع غير المسلمين.

6- **احترام العهود والمواثيق** :أكد النبي ﷺ على ضرورة الوفاء بالعهود مع النصارى، لكن في حالة نقضهم للعهد، كان يتم التعامل معهم وفق القواعد الشرعية العادلة.

**مراعاة الأمانة في التعامل مع أهل الكتاب** :شدد النبي ﷺ على أهمية الأمانة والصدق في التعاملات مع غير المسلمين، مما أسس لمبدأ التعايش السلمي.